اسم المصدر: اليوم
التاريـــخ: 11-12-2008 رقم العـدد: 12963 رقم الصفحة: 2 مسلسـل: 8 رقم القصاصة: 1

قراءة هادئة في رؤية سامية لقائد كبير من مكان مقدس

عبد الله بن عبد العزيز : فلنكن نحن التغير الذي نريد أن نراه في هذا العالم

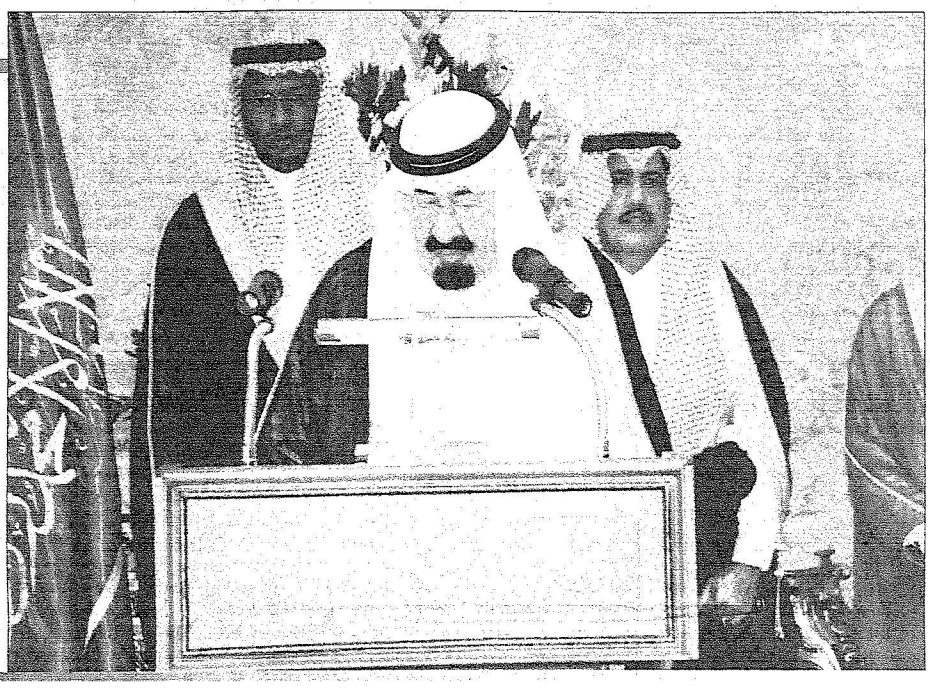

التحاور مع الذات دعوة لتحديد الهوية وفرصة لنقد العقل العربي، وتدارك ترهله الطويل

قراءة وتحليل. محمد هجرس

تكمن الانطلاقة الحقيقية لإحداث أي تغيير في فكر الإنسان في أنها تأتي من الداخل وليس من الخارج، ولكي يعطي الإنسان غيره يجب أن يكون أولا قد أعطى ذاته، ولكي يتحاور مع الآخر عليه أن يكون قد نجح في التحاور مع ذاته وتقبلها وتقديرها.

من هنا تبرز مضامين دعوة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في كلمته خلال حفل الاستقبال السنوي لرؤساء بعثات الحج وكبار الشخصيات، استثماراً لجلال المشهد الإسلامي وتشخيصاً لأهم احتياجات العالم الإسلامي المعاصر.. إن لم يكن العالم كله.

اسم المصدر: اليوم

التاريـــخ: 11-12-2008 رقم العـدد: 12963 رقم الصفحة: 2 مسلسـل: 8 رقم القصاصة: 2

صحيح أن أحداث سبتمبر حركت المعضلات النائمة لكنها ساعدتنا على اكتشاف قيمة التسامح الإسلامي

■ ... أسئلة؟

ولا يخفى على أحد، أن العالم الذي يتحول إلى قرية إليكترونية صغيرة، يفتقد هذه الميزة الحوارية، وسط انشغالات كثيرة. وأننا في العالم العربي تحديداً نفقد الحوار وأسلوبه وآدابه. ليتحول أي نقاش إلى مجرد حالة من الصراخ المتبادل، هستيريا كلامية، تتبادل الاتهامات بحق أو بدون حق، ولا يستغرب أن يصل الأمر إلى حدود التخوين والإنكار وإصدار أحكام غيابية.

الأمر الذي يشكل بهذه الصورة «حالة مرضية» يعانيها العرب والمسلمون تحديداً دون باقي الأمم، ما انعكس على مجمل علاقاتهم داخل أوطانهم، وعلاقاتهم بشركائهم على كوكب الأرض.

وربما هذه الحالة تفسر لنا، لماذا نحن المسلمون متخلفون؟

- ولماذا نواجه إشكاليات في علاقاتنا الذاتية كطوائف، أو كدول، أو كشعوب؟

- ولماذا غالبيتنا نحن بالذات تعيش في حالات من الفقر والمجاعات والمرض؟

كل هذه الأسئلة تبرر لنا مغزى دعوة عبد الله بن عبد العزيز، للحوار، وإصراره عليه. وإلحاحه في أن يكون عنواناً دائماً لأمة تحتاج دوماً إلى يستفزها ويستنهض فكرها. ويجدد مياهها التي ركدت كثيراً. وكادت تغترب من أن تصبح مجرد بحيرة مالحة راكدة.

■ لماذا الحوار...؟

لا شك في أن كافة أشكال الحوار مطلوبة ومهمة. فالحوار مفهوم سحري، يعكس في كل تمظهراته حالة ثقافية إيجابية ومنفتحة. وتزداد أهميته أضعافاً عندما يتعلق الأمر بالمجتمعات العربية والإسلامية، حيث تؤكد الأحداث أن هناك خصومة تاريخية مع الحوار والنقد والمراجعة، والتي تمثل في مجملها آليات حتمية لإحداث التقدم والتطور الحضاريين.

فغدان التحاور، أوجد حالة صمم غريبة. وتناثرا، والاعتماد على التلقين، في الخطاب السياسي والاجتماعي والديني ساهم في أن يكون الأمر أشبه بإشارة مرورية يكون السير فيها في اتجاه واحد فقط، من يحاول «التجديد» يكون كمن ارتكب مخالفة مرورية تستوجب العقاب.

كل ذلك، جعل من جل الشباب العربي والإسلامي، ممراً سهلاً لكل الأفكار بتقاطعاتها الطيب منها والخبيث، وهو بالتالي ما يسر التغرير بهم ومساعدتهم - دون أن ندري - على أن يرتموا في حضن أي فكر، وأي تطرف، وأي تفسير أو فهم، لتكون النتيجة كما شهدناها ونشهدها خلال العشرين عاماً الماضية.

■ دعوة لتحديد الهوية

أهمية دعوة الملك عبد الله بن عبد العزيز أنها دعوة للتوقف أمام النفس. لتحديد الهوية.. من نكون بالضبط؟

كيف؟ وأين؟ ولماذا؟

وربما يكون أحد أهم أهداف هذه الدعوة، هو - كما يقول بعض المحللين - أن «إدراك الذات هو أحد العوامل الرئيسية التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات الحية الأخرى..... إدراك الذات يعني قدرة الإنسان على تشكيل هوية خاصة به ثم بعد ذلك إلحاق قيمة بهذه الهوية».

وإذا كان المرء - أياً كان - لا يؤمن بقيمة هويته فكيف له أن يتعرف على الآخر أو يقبله؟

فالبداية الحقيقية مع الذات وليس مع الآخر. فكثير من سلوكيات الرد يفسرها عدم الفهم للذات وعدم تقديرها، وبناء الذات يبدأ منذ الطفولة لكن تقديرها عملية مستمرة يمكننا أن ندرب الشباب وحتى الناضجين على اكتساب مهاراتها.

الدعوة إذاً.. يمكننا اعتبارها دعوة للتربية العقلية التي تؤسس لنهج جديد في الفكر الاجتماعي، بدءاً من محيط الأسرة، حتى محيط المدرسة، وانطلاقاً إلى محيط المجتمع الأكبر، في الشارع، بالعمل، أي باختصار داخل منظومة البيئة الاجتماعية وما جاورها.

■ انطلاقة محلية

ربما تعيدنا الذاكرة لمجمل لقاءات الحوار الوطني، التي دارت بإشراف مباشر من لدن خادم الحرمين الشريفين، مثلاً اللقاء التحضيري للقاء الخامس للحوار الفكري الذي عقد في نجران قبل عامين تقريباً وكان عنوانه «نحن والآخر.. رؤية وطنية مشتركة للتعامل مع الثقافات العالمية» يمكننا اعتباره محطة مهمة في سلسلة هذه الحوارات، لأن التوصيات والنتائج تضمنت العمل على محورين:

- الأول يدعو إلى «تأصيل وتحديد المصطلحات الدينية ذات العلاقة بالتعامل والتعايش مع الآخر وتضمين المناهج الدراسية لمهارات تعلم الحوار وأسلوب العلاقة مع الآخر وتربية النشء على المفاهيم الصحيحة المستقاة من تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين مع الثقافات الأخرى إضافة إلى تعزيز الحوار الوطني في الداخل بين المذاهب والأطياف الاجتماعية المختلفة توطئة للانطلاق والتحاور مع الآخر.

- الثاني: تنظيم لقاءات حوارية عالمية مع المثقفين والنخب العلمية في المجتمعات والثقافات الأخرى والاستفادة من تقنيات الاتصال الحديثة بما فيها القنوات الفضائية.

على هذا الأساس، شهدت المملكة خلال السنوات العشر الأخيرة أضخم حالة حراك فكري وثقافي يعيد الاعتبار للهوية الذاتية، بتنوعاتها وتفعيلاتها وتأثيراتها وتأثراتها أيضاً.

سمعنا وشهدنا نقاشات انفتحت على المجتمع، والمرأة والطفل، صاحبتها تشريعات عن حقوق الإنسان والعمال، وجمعتها مراكز أبحاث ودراسات تضع إصبعها على مؤشرات نبض المجتمع.

■ صحيح ولكن

ربما يكون صحيحاً كما يقول البعض من أن أحداث سبتمبر 2001 حركت المعضلات النائمة منذ قرون. فحدث نوع من محاولة التدارك العميقة، خصوصاً بعد أن تساقطت التهم على العرب والمسلمين، وتراكمت إلى حد أصبحوا فيه العادل التوأم التام للإرهاب والعنف ورفض الإصلاح. وطبعاً كان لا بد من الدفاع عن النفس، ومن اعتماد آليات تدفع الهجوم الذي يستهدف الإسلام في قيمه ومعانيه، وحتى في نصه المقدس القرآن الكريم. وتأويل بعض آياته. التأويل الذي يناسب مقاس أعداء الإسلام.. بل وصل الأمر إلى مرحلة الاستعداء العسكري في حربي أفغانستان والعراق، واستجلاب الكراهية التي رأى فيها منظرو اليمين المتطرف مناخاً خصباً لضرب النوعي العربي والإسلامي في مقتل.

فقدان التحاور، أوجد حالة صمم غريبة، الأمر أشبه بإشارة مرورية في اتجاه واحد فقط

لكن الفائدة الكبرى المضادة، أتتنا وعينا على خلل أساسي في تركيبتنا، ساعدنا على اكتشاف قيمة تسامح الدين الإسلامي مع الأديان الأخرى، وكيف أن الحضارة العربية والإسلامية، عاشت فترات تاريخية من التأثير، وأنها قد أسهمت فيها يسمى الحضارة الكونية. إضافة إلى رهان أساسي على التبرؤ من التطرف، باعتباره العدو الأول للإسلام، وبالتالي طموح لخلع هذه الجماعات المتطرفة من البنية الثقافية والفكرية لأنها أصبحت تلتصق ما أصبح يعرف بـ «خوارج العصر».

والأهم أيضاً، أننا وعينا أهمية التحصين الذاتي لشبابنا، وإبعاده عبر أكبر حملات مراجعات فكرية لأصحاب الفكر المتطرف.

اسم المصدر: اليوم

التاريـــخ: 11-12-2008 رقم العـدد: 12963 رقم الصفحة: 2 مسلسـل: 8 رقم القصاصة: 3

بنشر النهج الصحيح المعتدل والمتسامح والمنفتح.

■ سلسلة نجاحات

من هذه الأرضيات السابقة، تحرك عبد الله بن عبد العزيز، مدركاً قيمة الوعي بالمشترك الإنساني. فكانت رؤيته للعمل تعمل على عدة مساحات:

1) زيارتـه التاريخيـة للفاتيـكان والمصافحـة الشـهيرة مع بابا الفاتيكان، عمقت المنهج المتسـامح، وألقت حجراً حرك مياه الجمود في البحيرة الراكدة بين أكبر ديانتين سماويتين على وجه الأرض.

2) مؤتمـر مدريد لحوار الأديـان - العام الماضـي - والذي تحول إلـى تظاهرة عالمية بقيادة سـعودية للتقارب بين أتباع الرسـالات والديانات. والذي نجح في ترسيخ علاقة جديدة تقوم على المشترك البشري، والإخاء وترسيخ مفاهيم البقاء القائم على قيمة الإنسان نفسه، بغض النظر عن لونه أو دينه أو عرقه أو لغته.

وكان ملحوظاً للغاية كلمة المليك أمام هذا الجمع الغفير من أبناء آدم، والتـي مثلت تحـولاً جذرياً في هذه العلاقـة، وأوضحت بما لا يقبل الشك أن الإسلام هو دين التسامح والمودة والإخاء.

3) مؤتمر حـوارات الأديان والثقافات - والذي عقد قبل أسـابيع - بمقـر الأمم المتحدة بنيويورك، والذي رسـخ تجربة مهمة برعاية أممية، يمكنها أن تضفي بعـداً جديداً على العمل الدولي ومن خلال أرفع منظمة عالمية وهي الأمم المتحدة.

واعتمد المليك خلال هذه المؤتمـرات واللقاءات عنوانا عريضاً هو «إنّ الأديـان التي أرادها الله سـبحانه لإسـعاد البشـرية لا ينبغي أن تُحوّل إلى أسـبابٍ لشـقائهم... وبالتالي يمكننـا القول إنه أعاد الاعتبار للدين كوسيلة إسعاد وليس كوسيلة صراع وحرب وشقاء.

■ يقول حكماء:

- لا يهـم أين أنت الآن ، ولكن المهم هو إلـى أين تتجه في هذه اللحظة.

- خير للإنسـان أن يكون كالسـلحفاة في الطريق الصحيح من أن يكون غزالاً في الطريق الخطأ.

- معرفة الآخرين علم، معرفة الإنسـان ذاتـه ذكاء..... (حكمة صينية)

- حـوار مع الـذات «كن أنـت التغير الذي تريد أن تـراه في هذا العالم»

والمنطق يقول، إنّ المرور إلى مرحلة الحوار مع الآخر يستدعي أولا وقبل كل شيء، ومن باب منهجية الحوار، أن ننطلق بحوار مع الذات عميق وجريء ومسؤول.

مثل هذه المرحلة المغيّبة هي ما عناها خادم الحرمين الشـريفين بـكل وعـي، وكأنها رؤيته الرائعة، التي تسـتلهم قدسـية المكان وطهارة الرسالة.

الحوار مع الذات، ربما يكـون قراءة بصوت عالٍ في محاولة - كما قلنا سـابقا - لإيجاد تلك الحالة التصالحية مع النفس.. والتي تفتح الفضـاء الرحب أمام القيم العليـا، والتعددية الواثقة لا التخوينية والإقصائية والتكفيرية.

إنّ الحـوار مع الـذات الطريق الأولى لمعالجة كافـة أزماتنا، وهو فرصة لممارسـة عملية نقد للعقل العربي، وتـدارك ترهله الطويل.. بما يعيد الاعتبار لمراجعة كبرى وشـاملة لتصورنا للعلاقة مع الدين ولمنظومـة القيـم المشـكّلة للضمير العربـي والإسـلامي، وللثقافة السـائدة، خصوصـا إعادة صياغة نظـرة منصفة للفـرد/ المواطن/ الرجل/ المرأة/ الطفل/ الشيخ.. ولمبدأ الحرية المقننة والتي يلخصها القول الخالد : «أنت حر.. ما لم تضر»

الطريق طويل.. نعم

لكن رحلة المليون ميل تبدأ بخطوة..

والأفكار العظيمة جديرة بخلق مجتمعات عظيمة..

وأفكار قائد مثل عبد الله بن عبد العزيز، جديرة بأن تحدث الانقلاب الفكري الذي سيعيد بالتأكيد التوازن إلى هذه الأمة.. يوماً ما.